عمر الضايم

أوان وردة الأبنوس

أوان وردة الأبنوس

الكتاب: أوان وردة الأبنوس، أقاصيص
الكاتب: عمر الصايم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى 2018م

رقم الإيداع: 000/2018م

المدير المسؤول: أسامة عوض الريح
التصميم: محمد الصادق الحاج

الناشر:
دار المصورات
للنشر والطباعة والتوزيع
الخرطوم غرب،
شارع الشريف الهندي
المتفرع من شارع الحرية
ت: 249912294714+
banaga1985@yahoo.com

حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر ©
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إن دار المصورات للنشر غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

عمر الصايم

أوان وردة الأبنوس

أقاصيص

دار المصورات
للنشر والطباعة والتوزيع
2018

المحتويات

النِّسَاءُ	9	غَرِيقٌ	30		
سَبَّابَةٌ	10	كَفَيَّهِ	31		
بَيْعٌ	11	حِذَاؤُهُ	32		
شُوَيْطِين	12	كَنَّاسُون	33		
شَجَرَةٌ	13	دُعَاءُ الاغْتِرَابِ	34		
مَعْزُوفَة	14	أَسْوَارٌ	35		
يُقَال	15	حَتْفٌ	36		
ثنائية	16	مَكَانٌ	37		
مَذَاق	17	أَلْوَانٌ	38		
نَعْيٌ	18	مَوْقِفٌ	39		
وِلَادَة	19	منافستو	40		
إِصْرَار	20	أُمنيَاتٌ	41		
اِتِّكَاءَة	21	قَلَمِي	42		
عُضْوِيّ	22	نَتِيجَةٌ	43		
فِي طَيِّهِ	23	أُمْسِيَةٌ	44		
قُنْبُلَة	24	عَلَّمَتْنِي	45		
حَالِمٌ	25	رَجَاءٌ	46		
حَيْنُونَة	26	مِنك	47		
مُتَحَوِّل	27	تَهْذِيبٌ	48		
العَارِي	28	نَفْحَةٌ	49		
اِنْتِصَافٌ	29	أَمَّا بَعْد	50		

تَشْـكِيلٌ 51

مَعْزُوفَـةٌ 52

أَخْمُـص 53

قَاعِـدٌ 54

وَاو المَعِيَّةِ 55

العَتْمَـةُ 56

غَائِلَـةٌ 57

قَرْمُـوط 58

وَشْـمُكِ 59

مُـوَارَاةٌ 60

جَـدَّتِي 61

نِـيرَان 62

نَاصِيَـةٌ 63

تَرَبُصُ عَاشِقٍ 64

دُوَارُ النَّمْلَةِ 65

أَوْبَـاشٌ 66

مَرَّةٌ وَحِيدَةٌ 67

دخلوهَـا! 68

غُرْبَةٌ وشُقُوق 69

كانَ قمراً 70

هُمْ وَهُوَ 71

نَافِـذَةٌ 72

ليـل 73

قَامَـةٌ 74

دُودَةٌ 75

أَيْنَ.. مَجَّاناً؟ 76

عَـوْدَةٌ 77

فَظَاعَـةٌ 78

طَرَائِـدٌ 79

النَّعَامَـةُ 80

أَبَدِيَّتِـي 81

مُبَارَكَـةٌ 82

رِئَـةٌ 83

مُقَارَبَـةٌ 84

مدخـل 85

يَحْـذُو 86

جَلَّاسَـةٌ 87

مَبْحَـثٌ 88

أَجَّجَـتْ 89

لَمْ تَعُدْ 90

اِمْـرَأَةٌ 91

لِي 92

وَيْحَنَـا! 93

كِفَايَـةٌ 94

صَبَّـارٌ 95

النِّسَاءُ

قامَتْ قيامَتِي؛ حَرَّضْتُ نفسِي أنْ أنهضَ. أُمِّي مَدَّتْ يدُها تلتقطُنِي، امرأةٌ أُخرى نفضتْ الغبارَ عَنِّي، أخبرتْنِي طفلتِي أَنَّ النِّسَاءَ يعلمْنَ أسرارَ القيامِ. قمتُ؛ فمشيتُ!

سَبَّابَةٌ

يَشْهِرُ سَبَّابَتَهُ فِي وجْهِ السَّابِلَةِ، يَسُبُّ السَّلْطَةَ والسَّادَةَ.
تَسودُ الهَمَسَاتُ حَوْلَ سِحْنَتِهِ المجنونَةِ. يقولُ بِتَأَفُّفٍ:
اذهبوا فَأَنْتُمْ السُّجَنَاءُ
فِي مَحْبَسِي أَذْكُرُ سَبَّابَتَهُ المُضِيئَةَ!

بَيْعٌ

فَارِعَةٌ انثنَتْ على قارِعَةٍ، قَرَأَ جَارِي: الفَارِعَةُ مَا الفَارِعَةُ، بَاعَها التَّاجِرُ الحنَّاءَ، خَضَّبْنَا شَيْبَنا بِالنظرِ، ونَحْنُ نَتَآنسُ عَنِ الزَّمَنِ الجَمِيلِ آنَ كُنَّاهُ. قَالتْ: سلامٌ!

رَدَدْنَا: قَوَاماً مِن جَمِيلٍ حَمِيمٍ!

باحَةُ الحَاضِرِ تَعَطَّرَتْ بِطَلْحٍ نَضِيدٍ.

شُوَيْطِين

شَيْطَانُكِ لا يَحفلُ بِيّ البتة، شَكْوتُكِ إِليهِ؛ فَغَمَزَ عَيْنَهُ ومَضَى. دَقَّ يَدَاً بِيَدٍ! لا يأتينِي خِراجُكِ يَا غَمَامَة. شُوَيْطِينِي يَافِعٌ، لا يُثَالِثُنَا إِلّا فِي الخيالِ.

شَجَرَةٌ

حَاجَّة بخيتة تَفتحُ نوافذَ المَدرسةِ، وتَملأُ قلوبَ الصِّغَار بِالمَحَبَّةِ والحَلْوَى، شجيرتها غِرْبَالُ الأَسَى، وكواليسُ العرائس. تَقْرأُ فِي عيونِ التَّلاميذِ، مُنْذُ أَنْ تَجاوزَتْهَا حُروفُ الحَياةِ..

مَعْزُوفَة

دروِيشِي يُحَلِّقُ فِي فَضَائِهِ، وشَفَتَاكِ تَرْسُمَان حُدودَ النَّغَمِ فِي فَمِي. خَفَتَ الضَّجِيجُ؛ فأَسْلَمْتُكِ كَمَنْجَتِي. غَادَرْتُ المَنَصَةَ تُطَارِدُنِي أَلحَانُكِ، ولَعَنَاتُ الطُّيورِ

يُقَال

مِمَا يُحْكَى عَن أسرارِ رجولتِهِ أَنَّه يملكُ ساقين وتِسْعٌ وتسعون رُكْبَة، لَمْ يَرَ أحدُ الرواةِ أرواحَهُ السَّبْعَة؛ دائماً كانتْ مُعَلَّقَة بالعرشِ؛ لذا ظَلَّ يقضِي حاجتَه فِي كُرْسِيهِ الدَوَّار؛ خَوْفَاً مِن أَنْ يُقَالَ.

ثنائية

فِي هَدْأَةٍ مِنْ الكَوْنِ ضَمَمْتُ أَشْلَائي إِلى نَجْمَةٍ وحِيدَةٍ، تَنَحَّيْتُ لروحِهَا؛ فَتَوَغَلَتْنِي. فِي الصَّبَاحِ وجدُونِي حبيبةً نَائيةً، وعَاشِقاً مُلْتَاعَاً. يَنْتَظِمُ الكَوْنُ عَلَى جَسَدِي كإِيقَاعِ نَهْرٍ لاهِثٍ مِنْ العَطَشِ.

مَذَاق

يَدُ المَوْتِ تَمْتَدُّ نَحْوِي، أَنَا ابنُ المَهَالِكِ الرخِيصَةِ، يَلْهَثُ القَتَلَةُ خَلْفِي بِالتُّرهَاتِ الفَارِهَةِ؛ أَهْرُبُ نَاجِيَاً بِبَدَنِي. صَوْتُ مُغَنٍ يَنْبَعِثُ مِنْ رَاديو؛ يُعِيدُ رُوحِي إِلى جَسَدِهَا. مُنْذُ مَوْتِهِ لَمْ أُصَدِّقْ أَنَّنِي قَدْ أَنْجو!

نَعْيٌ

وأَنْتَ فِي عَتْمَةِ العُمْرِ، تَقْرَأُ وداعَ صَديق طُفولتِكَ. تَشْعُرُ أَنَّهُمْ دَفَنُوا شَخْصَاً آخراً. حَتْمَاً سَيَعُودُ إليكَ؛ يُلَاعِبُكَ الشّطْرَنج، يَعِدُكَ بَاسِمَاً بِهَزِيمَةٍ ثَقِيلَةٍ.لا تطوِ الصَّفْحَةَ، وانْتَظِرْهُ.

وِلَادَة

حَمَلْتُ مِعْوَلِي؛ لأَهْدِمَ جِدَارَ الليلِ، تَجَمْهَرَتِ الضَّفَادِعُ فَزِعَةً، وَقَفْتِ الصَّرَاصِيرُ عَلَى أَمْشَاطِهَا. يَسْتَشِفُنِي نُورٌ يَتَهَادَى؛ فَيَسْقُطُ مِعْوَلِي. أَسْمَعُ دِيكاً يُغَنِّي بِرَحَابَةِ حُنْجُرَتِهِ: كُلُّ جَدِيدٍ سَيَأْتِي.

أَحْتَفِي بِعُشْبَةٍ تَنْبُتُ بَيْنَ صَخْرَتَين.

إِصْرَار

بِلَادٌ مَا تَحْتَضِرُ فِي غُرْفَةِ العِنَايَةِ المُرَكَّزَةِ؛ ورئيسُهَا يَصِرُّ عَلَى
إِدْخَالِ أَنْبُوبَ التَّغِذيةِ عَبْرَ أَنْفِهِ المُغْلَقَةِ بِرَوائحِ الجثامين

اِتِّكَاءَة

الآن نَتَكِئُ عَلَى بَعْضِنَا، ثَالِثُنَا كَلْبُنَا. نَتَلَكْأُ فِي مَوْتِنَا مَعَاً.
طَوَّقَتْنِي يَدَاكِ، غَمَرَنِي عِطْرُ النَّشِيدِ، وأَذَابَ كُلِّي فِي بَعْضِكِ.
كيفَ لنَا أَنْ نَفُضَّ الاشْتِبَاك؛ مَنْ أَنَا يَا أَنَا؟

عُضْوِيّ

تَمَكَّنَ مِنْ صُنْعِ قَوْقَعَةٍ، اِلْتَفَّ فِي تَجَاوِيفِهَا. ظَلَّ لِسَانُهُ فِي الخَارِجِ يَلْهَثُ مِنْ الفَزَعِ كَمُثَقَّفٍ لَاحِم. يَبِيضُ كُلَّمَا حَظَرَ أَحَدَهُمْ مِنْ واتس اب، حِينَ يَفْقِسُ البَيْضُ تَمْتَلِئُ القَوْقَعَةُ بِسَائِلٍ لَزِجٍ.

فِي طَيِّهِ

زَرْقَاءُ العِنَاقِ، طَوَتْنِي بَيْنَ ذِرَاعَيهَا؛ رغم بُعَادِي.

بَحَّ جِلْدِي:

إِنِّي أَرَى بُيوتَاً تُحَلِّقُ!

عَيْنَاها لَمْ تُبْصِرْنِي وأَنَا أَتَضَوَّرُ سُمْرَةً، وأُغَازِلُ القَمَارِي حِينَ تَرْتَوِي مِنْ إِبْطَيهَا.

قُنْبُلَة

فَرْقَعَ عَلَى المَلأ أَثْنَاء عَمَلِية تَغْيِير جِلْدِه. تَطَايَرَتْ التَّفَاهَات مِنْ جُثْمَانِهِ، لَمْ يَنْجُ الطَّبيبُ الحَاذِقُ؛ ولَمْ يَهْتَمْ أَحَدٌ بِمُوارَاةِ الحَقِيقَةِ.

تَقَاسَمُوا التَّفَاهَات مِنْ بَعْدِهِ.

حَالِمٌ

سَاءَ العَالَمُ جِدًّا؛ فَجْأَةً حِينَ تَحَرَّكَ صِغَارِي فِي الوجودِ؛
اِكْتَشَفْتُ أَنَّنِي سَأَزْرَعُهُم فِي كَوْمَة مِنْ الأَحْلَامِ الذَّابِلَةِ؛ رُبَّمَا
أَنَا طِفْلٌ ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي السَّنَواتِ!

حَيْنُونَة

سَأَمْكُثُ بَيْنَ جَذْرِكِ والتُّرَابِ. قَفَزْتُ عَنْ حَافَةِ الليلِ، تَلْفَحُنِي شَيْخُوخَتَئِذٍ؛ أَضِيئُ كَمَا يَجْدُر بِعَاشِقٍ مُلْتَاعٍ. فُوجِئْتُ أَنَّنَا إِخْوَةٌ نَتَقَاسَمُ هَزِيعَاً أَخِيرَاً، وكُلُّ الأَبَارِيقِ خوَاءٌ.

مُتَحَوِّل

تَحَوَّلْتُ إِلى وَرْدَةٍ تَضُوعُ. تَذَكَّرْتُ أَنَّنِي سَأَذْبُلُ بَعْدَ أَيَّامٍ؛
نَشَرْتُ عِطْرِي حَيْثُ أَمُوتُ، لَنْ أَنْدَمَ عَلَى سَنَوَاتِي الْمُهْدَرَة
كَبَشَرِيّ مُنْكَمِش؛ مَا جَدْوَاهَا بِلَا رَحِيق؟
سَمِعْتُ حَفِيفَ أَجْنِحَةِ فَرَاشَةٍ فَوْقِي، وأَنَا أَنْضَمُّ للرحِيلِ!

العَارِي

أَمَرَ لِي المَلِكُ بِأَلْف دِينَارٍ، جَوَاداً أَصِيلاً، وجَارِيَةً غَرَّاء. مَا تَخَيَّلْتُ أَنَّ قَصيدتِي فِي مَدْحِ الشَّعْبِ سَتَروقُهُ هَكَذَا؛ فَلَمْ أَسْمَعْ تَصْفِيقَ جَمْهُورِ البَلَدِ.

يقول مولانا: بَخٍ بَخٍ! هَذِهِ أَجْمَل مَرْثِيةٍ فِي شَعْبِي الرَّاحِل!

غمزتْ لِي الجَارِيةُ؛ غَمَرَنِي خَوْفٌ، وأَنَا أُبْصِرُ هَيْكَلِي العَظْمِيّ عَارِيَاً مِنْ اللَحَمِ.

اِنْتِصَافٌ

يَنْتَصِبُ الحَرْفُ واقِفَاً حِينَ يَطِلُّ حَرْفُكِ، اللغةُ لَيْسَتْ بَرِيئةً، يَقُولُون أَنَّهَا حَامِلٌ. لِشُهورٍ خَلَتْ كُنْتُ أَتَوَحَّمُ بِقِصَّتِكِ التِي أَنْجَبَهَا رَجُلٌ ذَاتَ فَنْتَازِيا.

غَرِيقٌ

اِحْتَقَبْتُ الضِّفَةَ، حَزَمْتُ شُجَيْرَاتِي وغَادَرْتُ؛ ضَلَّ نَهْرِي الطَّرِيق؛ فَأَغْرَقَنِي.

كَفَيَّهِ

لَمْ يَمُتْ الحَدَّادُ؛ فَقَط سَكَتَتِ المِطْرَقَةُ! نَبَتَتِ الحَيَاةُ بَيْنَ شَرَاشِفِ كَفَيّهِ، وِامْتَدَّتْ قَصَبَةٌ مُونِعَةٌ تُدَنْدِنُ لِصَغِيرَتِهِ بِأُنشُودَةٍ قَبْل النَّوْمِ، وهِي مُنْبَطِحَةٌ عَلَى حُضْنٍ صَنَعَهُ مِنْ أَضْلُعِهِ الحَانِيَة.

حِذَاؤُهُ

أَيْقَنَ أَنَّه لَمْ يَكُنْ لِيَصْلُحُ زَوْجاً أَبَدَاً! تَسَاءَلَ كَيفَ تَمَكَّنَ مِنْ جَعْلِ حَبِيبَاتِهِ أُمهَاتٍ وَحِيدَاتٍ، تُحِيطُ بِهِنَّ وثَائِقُ هُروبِهِ، وشَهَادَاتِ جِينَاتِهِ التِي خَلَّفَهَا ذَات هِزَّةٍ.

مَضَي بِإِيقَانِهِ يَبْحَثُ عَنْ زَوْجَةٍ دَافِئَةٍ، وهُوَ يَرْمُقُ حِذاءَهُ اللامِعُ.

كَنَّاسُون

قَرَّرَتْ أَنْ تَتَزَوَّج، فَقَدْ هَبَّتْ رِيَاحُ الشِّتَاءِ، وارْتَمَى ظِلُّ غُرَفِ النَّوْمِ عَلَى وَسَائِدِ الطَّرِيقِ. أَطَلَّتْ مِنْ نَافِذَتِهَا لِتُبْصِرَ الظِلَّ؛ فَرَأَتْ جَوْقَةً مِنْ الرِّجَالِ مَطَأْطِئِ الرّؤُوس، تَكْنِسُ حُروفَاً مُوسِيقِيَّةً بَالِيَةً.

دُعَاءُ الاغِتِرَابِ

اللهُمَّ جَنِّبْنَا السُّودَانَ، وجَنِّبْ مَنْ رَزَقْتَنَا غَوائلَهُ؛ ثُمَّ صَعَدَ إِلى الطَّائرَةِ.

شُوهِد آخر مَرَّةٍ بِجُزرِ المَالدِيف، عَائدَاً مِنْ مُثَلَّثِ بَرْمُودَا.

أَسْوَارٌ

أَهْدَاهَا بِضْعَ أَسَاوِرٍ، طَوَّقَتْ بِهَا مِعْصَمَيْهَا. سَنَواتٌ وهِيَ تَشْتَهِي رُؤْيَة بَرِيقَ عَيْنَيْهَا؛ تَسَوَّرَتْ جَسَدَهَا لِتُبْصِرَ شَارِعَ القَلْبِ مُوحِشَاً، وسِيَاجَ النَّارِ يَقْتَرِبُ مِنْهَا كُلَّمَا نَبَضَتْ.

.

حَتْفٌ

مَتَى المَوْتُ؟ كُلُّهَا ثُلْمَةٌ فِي اِشْتِهَاءٍ؛ لا أَحَدٌ يَشُدُّ رَمَقِي الأَخِير مِنْ أُذْنِهِ. كَلِمَاتِي تَصْرَعُكِ سَبْعِين فَرْسَخاً مِنْ الإِنْحِاءِ، وتُقَاوِمِين رُكْبَتَيكِ أَنْ تَمِيدَ، ومَا فِي المَوْتِ إِلا مِزْعَة مِنْ حَيَاةٍ. اَرْتَقِبُ جُثْمَانَكِ لِأَصْلُبَ عُرْيَهُ عَلَى فِرَائي المُبَلَّل بِالشَّوْقِ.

مَكَانٌ

مَا مَعْنَى أَنْ أَنْتَظِرَكِ هُنَا؟ وأَنْتِ تَرْتَحِلين مَعِي حَيْثُمَا ذَهَبْتُ!
الانْتِظَارُ لا يَشْبَهُنَا، هُوَ ثَقَافَةُ الْمُسْتَهْلِكِ، ونَحْنُ عَاشِقَيْن.
سَألقَاكِ فِي الأَمْكِنَةِ التِي لَنْ أَزُورَهَا إِلاَّ بِك.

أَلْوَانٌ

جَلَسَتِ العَاشِقَاتُ يَكْتُبْنَ عَنْهُ، كُلُّ واحِدَةٍ رَسَمَتْ مَلْمَحَهَا الخَاص، جَمَعْنَهُ بَيْنَ دَفَّتَي حُلُمٍ. قَرَأَهُ بِدَهْشَةٍ؛ كَيْفَ كَانَ - يَوْمَاً مَا - كُلَّ هَؤُلَاءِ النَّاس، رِجَالَاً ونِسَاءً؟
أَغْلَقَ حُلُمَهُ، ومَضَى يَبْحَثُ عَنْ عُلْبَةِ أَلْوَانٍ.

مَوْقِفٌ

لَمَسَتْ نَبْضِي بِأَنَامِلِهَا، حَيْنَ كَانَتْ تُوقِظُ الشَّارِعَ، وعَصَافِيرَ الصَّبَاح. أَوْقَفَتْنِي بَيْنَ مِفْرَقِ رُوحِي وجَسَدِي ثُمَّ قَالتْ:

انْبُضْ لِي!

تَعَامَدْتُ نَابِضَاً، والصَّبَايا يَغْتَرِفْنَ مِنِّي هَزَّاتِ التَّوَلُهِ عِنْدَ كُلِّ لِقَاءٍ.

منافستو

يَلْبَسُنِي سِرْوَالِي حِينَ أَفْتَقِرُ إِلَيكِ، يَسِيرُ بِيَّ حِذَائِي حِينَ أَبْتَعِدُ عَنْكِ. أَوَانُ اِرْتِقَائِي إِلَيكِ أَلْبَسُ النَّهْرَ، وتَسِيرُ بِيَّ الجِبَالُ والسُّحُبُ. عَرْشُنَا يَتَسَحَّبُ لِيَجْلِسَ تَحْتَنَا، تَقُولُ الكَائِنَاتُ: المَجْدُ لَهُمَا!

نَجْلِسُ مُتَعَانِقَين، لَا شَيءَ يَهُمُّنَا!

أُمنَيَاتٌ

دَرَسَ الطِّبَّ كَمَا تَمَنَّتْ أُمُّه، جَمَعَ ثَرْوَةً عَظِيمَةً كَمَا تَمَنَّى والِدُهُ، هَاجَرَ كَمَا تَمَنَّتْ زَوْجَتُهُ. ظَلَّ فِي دَاخِلِه يَحْلُمُ بِأَنْ يَكُونَ كَاتِبَاً مَشْهُورَاً. أَصْدَرَ كُتُبَاً جَمَّةً؛ لَمْ تُحَرِّكْ أَمَانِي أَحَدٍ مِنْ قُرَائِهِ.

قَلَمِي

يَشْتَهِيكِ حِبْرِي، وَرَقَتُكِ النَّاصِعَةُ الِاشْتِهَاءِ تَنْزَلِقُ نَحْوَ مِنْضَدتِي. أَمْسَحُ سَطْحَهَا الْمُرْتَجِفَ، أَرْسُمُكِ مُتَوَهِّجَةً، تَسْبَحِين فِي أَنْفَاسِي، أَمْسَحُكِ بِجَرَّة عِشْقٍ، وأَعِيدُكِ طِفْلَةً تَلْعَبِين، أَمْسَحُكِ بِجَرَّةٍ واهِنَةٍ. أَطْبِقُ وُرَيْقَتَكِ، أَلْقِمُكِ فَمِي، أَبْتَلِعُكِ فِي دَوْرَةِ عِشْقِي الأَزَلِيَّة.

نَتِيجَةٌ

طِفْلَان فَقَط فِي عَالَمٍ ذُكورِيّ، كَرَّسَ لَهُمَا قِيَمَ الرُّجُولَةِ، الرَّجُل لا يَبْكِي: لَا ولَا! حِينَ تَشَاجَرَا قَالَ أَحَدُهُمَا للآخَرِ: يَا اِمْرَأَة.

عَادَ يَشْكُو أَخَاهُ لَهُ

- لِمَاذَا تَبْكِي؟

- لَوْ قَالَ لِي: يَا حِمَار كَانَ أَهْوَن.

صَمَتَ الأَبُ يَتَفَكَّر فِيمَا زَرَعَهُ!

أُمْسِيَةٌ

أَوْمَأَ لِي الجَبَلُ مِن تَحْت سِتَارِهِ، يَنْفُرُ مِنْ زَخَّاتِ المَطَرِ، وظُلَلُ عِشْقِي تُطَارِدُهُ. صَدَمْتُهُ بِكِلْتَا عَيْنَاي؛ فَبَعْثَرَنِي شَظَايا.

أَيُّهَا الجَبَلُ أُحِبُّكَ بِمَا تَبَقَّى مِن نِثَارِي، وبَيْرَقِي لَمْ يَزَلْ شَاهِقَاً فيكَ.

عَلَّمَتْنِي

لُحْظَة الحُبِّ تُولَدُ مِن قَلْبَيْنَا، نُحَلِّقُ حَوْلَ قَهْوَتِنَا فَرَاشَتَيْن، وبِضْعُ جَمْرَاتٍ تَحْتَنَا. مَذَاقُ البُنِّ عَلَى شَفَتَيْكِ أَسْكَرَنِي. سَافَرْتُ إِلَيكِ لَيَالٍ؛ فَلَمْ أَصَلْ، بَعِيدَةُ المَدَى أنت! حَطِمِي الإِطارَ؛ لستِ مَحْض صُورَةٍ، تَعَالِي!

رَجَاءٌ

أَكْتُبُكِ عِنْد تَمَام السُّكْرِ، مُنْتَصَفُ غَيْبُوبَتِي. رَجَاءٌ إِذَا قَرأَ صَفَحَاتِكِ أَحَدٌ؛ فَقُولِي أَنِّي كُنْتُ مَخْمُوَراً بِكِ، وأَنِّي وَعَدْتُك ذات إِفَاقةٍ أَنْ أعودَ إليكِ، ويَمْتَدُّ وَعْدِي مَا اِمْتَدَّتْ إِفَاقَتِي.

مِنك

إِيْمَاءَةٌ فِي الظَّلَامِ، بَيْنَ دَفَّتَي المَوْجِ، أَتَرَنَّحُ فِي صَبَاحِ بَسْمَتِكِ. أَلْثُمُ أَنَامِلَكِ التِي تَرْسُمُنِي أُنْمُلَةً، أُنْمُلَةً. أَقْطَعُ جِسْرَ مَحَبَّتِكِ حَاسِرَ الفُؤَادِ، أَلِجُ لَوْحَتَكِ، تَرُشُّنِي الأَلْوَانُ النَّاطِقَةُ بِهَمَسَاتٍ مِنْكِ.

تَهْذِيبٌ

يُزْهِرُ الليْمُونُ صَبَاحَاً، شَذَّبْتُ شُجَيْرَاتِهِ بِالأَمْسِ. تَأَنَّقَتْ أَشْوَاكُهُ، وهِيَ تَسْتَقْبِلُ
اِبْتِسَامَتِي، وأَنَا أُقَلِّبُ الأَرْضَ. الأرجحُ أَنَّنِي لَنْ أُسَافِرَ، سَأَسْتَمْتِعُ بِنَدَاهَا حَتَّى خَرِيفِي الزَّاهِي.

نَفْحَةٌ

يَنْفَحُ العِطْرُ صَدْرَهَا، أَضْغَاثُ اِشْتِهَاءَاتٍ بَيْنِي وبَيْنَهَا. شَهْوَةُ تَحْضِيرِ الجَنَّة بَيْنَ مِفْرَقِ شَعْرِهَا. يَسْتُرُهَا الحُبُّ بِتَبَرُّجَاتِهِ السَّبْعَةِ، تَطِيرُ عُمَامَتِي مِنْ عَقْلِي! أَسْتُرُنِي بِوَرَقٍ مِن يَقِينٍ، أَتَظَلَّلُ بِيَقْطِينَتِي، تَلِدُ الجَرَاثِيمُ صِغَارَهَا بَعِيدَاً عَنَّا!

أَمَّا بَعْد

.. فَإِنَّنِي لَمْ أَرَ طِفْلَةً فِي عَامِهَا الأَرْبَعِين إِلَّاكِ، بِلَهْفَةٍ تَحْتَمِينَ بِيَّ كُلَّمَا صَعقَتْكِ المَحبَّة؛ فَتَعْتَرِينِي رَغْبَةُ تَشْدِيقِكِ، ورُؤيَتكِ مَقْعِيةً تَحْتَ قَدَمَيَّ تَنْتَظِرين تَقْشِيرَ الشيكولاته. أُحَاوِلُ أَنْ أَلْتَمِسَ طِفْلَتِي رَغْم زَحْمَةِ الأَيَّام عَلَى أَيَّامِنَا..

تَشْكِيلٌ

عَاشِقَةُ الشَّمْسِ، تَرْسِمُ لَوْحَةَ الوَطَنِ بِقَوامِهَا الفَارِعِ، تُلَوِّنُ الأُفْقَ؛ فَتَخْضَرُ أَنَامِلُهَا، وتَزْهُو بَلورَات النَّدَى عَلَى خُدودِ الصَّغِيرَاتِ. حِينَ اِخْتَطَفَتْهَا الطَائراتُ عَنَّا؛ عَادَتْ فِي صَهِيلِ النِّيلِ عَلَى الضِّفَةِ.

مَعْزُوفَةٌ

دَرْوِيشِي يُحَلِّقُ فِي فَضَائِهِ، وشَفَتَاكِ تَرْسُمَان لَوْحَة النَغْمِ فِي فَمِي. خَفَتْ الضَّجِيجُ؛ أَسْلَمْتُكِ كَمَنْجَتِي، ولَمْ يَزَلْ مَذَاقُ شَفَتَيْكِ يَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي الكَوَالِيس!

أَخْمُص

كُلُّ الخَلَايَا عَابِقَةٌ، قَدَمَاك أُنْشُودَةُ الطَّلْحِ. لِمَنْ تُقْرَعُ الأَجْرَاسُ؟ يَا صَبِيَّة نَثَرتِ الوردَ فِي صَحراءِ العُمْرِ. عَمَّدْتُ أَخْمُصَيْكِ مَنْسَأَةً للحَيَاةِ. هَرَبَتْ بِكِ الأَرْضُ، اِكْتَفَيْتُ بِأَنِّي عَاشِقٌ مَوَازٍ.

قَاعِدٌ

عَاطِلَتِي! أَقْعَدَنِي تَغْرِيدُكِ، هَجَسَ بِيَّ فِي هَزِيعِ الحُبِّ الأَخِيرِ. النِّسَاءُ السَّامِقَاتُ يَقْضِمْنَ تُفَاحَتِي، ويَمْنَحْنَنِي سَنَواتٍ ماضِيَةً. سَأَنْتَظِرُكِ بِمَا تَبَقَّى فِي حُنْجُرَتِي مِنْ غِنَاءٍ مُسْتَقْطَعٍ، لِأُعِيدَ اِرْتِجَافَ يَدَيْكِ للطَقْسِ البِدَائِيّ.

وَاو المَعِيَّةِ

أَنَا والبَطَّةُ. كِلَانَا يَنْتَظِرُ التَّخَلُّصَ مِنْ وَاوٍ تَرْبِطُنَا، وتَفْصِلُنَا!
شَهْوَةُ البَطْبَطَةِ عَلَى بُحَيْرَةٍ نَائِيَةٍ، والعَبَثُ فِي مُسْتَنْقَعٍ يَخُصُّنَا.
كِلَانا سَيَقْضِمُ الوَاو؛ لِنُغْرِقَهَا فِي يَمِّ البَوْحِ.

العَتْمَةُ

التَّوَهُّجُ الرعَّاشُ، وأَنَامِلِي تَسْقِي بُصَيْلَاتِ عِشْقِكِ شَهْدَ الحَنِينِ. طَرِيحَةُ البُعَادِ أَنْتِ وشَعْرُكِ يُجَنْدِلُنِي، يَدُسُّنِي بَيْنَ عَيْنَيكِ. فِي العَتْمَةِ أَنْتَظِرُكِ، بَيْنَ الوَسائِدِ يَخْتَفِي جَسَدِي؛ بَعْضٌ مِنْ نُدوبٍ عَلَى الفِرَاشِ.

غَائِلَةٌ

.. وَهَلْ أَمِنْتِ غَائلَتِي؟ أَنَا ابنُ الحُبِّ طَلَّاعُ أَنْجُدَهُ؛ قَدْ أَغِيرُ عَلَيكِ ذَات صَبْوَةٍ، وأَغْرِسُ بَيْرَقِي فِي سُهوبِكِ المُحَرَّرَةِ. أَمَا تَرْعَوِينَ وتَرْعِين بِقَيْدِكِ؛ يَا اِمْرَأَةً مِن أَحْرُفِ النَّارِ؟ كَفَى خَدِيعَة!..

قَرْمُوط

تَوَتَّدَتْ عَلاقَتِي بِالأَرْضِ، تَوَتَّرَتْ حَبِيبَتِي، غَادَرَتْنِي إِلى بَعْلٍ ذِي أَجْنِحَةٍ. غَمَرَتْنِي السَّمَاءُ، رَمَتْنِي بِطَمْيِهَا، ثُمَّ لَمْ أَعُدْ صَالِحاً للبقَاءِ؛ كَقَرْمُوطٍ بَائسٍ. ظَلَلْتُ أُقَاوِمُ حَنْقَ الطِّينِ.

وَشْمُكِ

اِنْزَلِقِي بَيْنَ العِطْرِ والخَلَايَا، وتَسَنَّمِي صَدْرِي؛ سَتَهْرُبُ أَحْصِنَتِي، رَاَجِلاً آتِيكِ بِالقِسِيِّ وظُلَلِ الغَمَامَةِ، ولَا أُبَالِي! وَشْمُ قَبِيلَةِ العَاشِقِيكِ أَرْسُمُهُ بَيْنَ فَجْرِكِ ونَحْرِكِ.

مُوَارَاةٌ

أُحِبُّ أَنْ أُؤْذِيَكِ، أَلْوِي ذَنَبَكِ المَعْقُوفَ عَلَى قَلْبِكِ، تَسْتَعْفِينِي؛ فَأُغْرِقكِ فِي مَتَاهَة الجُنونِ، أُقَلِّبُ جُثْمَانَكِ المُحْتَرِقَ وأُوَارِيه جَبَّانَتِي؛ مَنْ يَأْبُهُ بِكِ يَا دَفِينَتِي؟!

جَدَّتِي

عَلَى حَرِيرِ الأَرْضِ تُسْجِي جَسَدَهَا، وتَزْرَعُ تَجَاعِيدَهَا. يَرْتَدُّ العُمْرُ بِهَا، يَانِعَةٌ تَتَخَطَّفَها العُيونُ. تَعُودُ مِنْ الحَقْلِ رَافِلَةً فِي نَهْدَيْهَا، ظَهْرُها كَخَطِّ الِاسْتِوَاءِ، يَنْأَى عَنْهَا الفَاصِلُ الرِّجَالِيّ؛ تُمْطِرُ الحَفِيدَاتُ لَيْلَاً!

نِيرَان

خَامِدَان فِي مُتَّسَعٍ مِنْ الحَرِيقِ، سَيَكُونُ الصَّباحُ سَارِقَ عَيَانٍ، تَفْضَحُهُ مَلابِسُهُ المُغَطَّاةُ بِنَدَى البَّارِحَةِ. نَاطِقَان كَمَا البَدْءِ، لَحْظَةَ أَنْ تَبَرْزَخْنَا سَوِيَّاً فِي قَارِعَةِ الأَبَدِيَّةِ.

نَاصِيَةٌ

يَدَاكِ تَهْبِطَان عَلَى يَدَيَّ، يَشْتَعِلُ دَمِي بِاللَهْفَةِ، يَخْرُجُ إِلى مَسْرَبِهِ الغَامِضِ. أَنْتَظِرُ بَسْمَتَكِ فِي نَاصِيَةِ الشَّارِعِ؛ لِنُوَزِّعَ الحَلْوَى عَلَى العَاشِقِين، وبَعْضُ حَنِينِي المُعَبَّأ لِسَنَواتٍ لَمْ يَزَلْ صَالِحَاً لِقَلْبِكِ؛ وإِنْ يَسْلُبْنَهُ الأُخرَياتُ.

تَرَبُصُ عَاشِقٍ

عَيْنَاك تَوَهُّجُ الروحِ، نَهْدَاكِ سَمَاواتُ الطُّغْيَانِ. خَاتَمُ التَّلاشِي خَبِيئُ الدَّهَالِيزِ، مَعْرِكَةٌ هُنَا، وسَلَامٌ هُنَاك! أَنْتِ بَعْضُ الأُمْنِيَاتِ، وأَنَا عَظِيمُ الضَّلَالاتِ. يَوْمَاً مَا سَيَحْتَرِقُ الكَوْنُ، وتَشْتَعِلُ غَابَاتِي، فَهَلْ تُرانِي أَعُودُ مُتَرَبِصَاً؛ عَاشِقَاً، أَمْ هُوَ الحَرِيقُ الأَخِيرُ فِي رَمَقِي.

دُوَارُ النَّمْلَةِ

يَخْرُجُ سَاهِمَاً، يَتَقَرْفَصُ فِي مَقْعَدِهِ. النَّمْلَةُ تَزْحَفُ بَيْنَ قَدَمَيهِ، تَلْتَقِطُ فَتَاتَ خُبْزِهِ الجَاف، يَرْقَبُ دَأْبَهَا، مُنْعَرَجَاتِ دَرْبِهَا فِي شُقوقِ الأَرْضِ، يَنْتَابُهُ دُوَارٌ، يَدُقَقُّ النَّظَرَ فِي مُؤَخَرَّةِ النَّمْلَةِ، فَيَشْتَدّ الدُّوارُ، يَمْسَحُ جَبِينَهُ المُتَعَرِّقَةَ، ويَغِطُ فِي غَيْبُوبَةٍ.

أَوْبَاشٌ

ذَهَبَ الأَوْبَاشُ بِالرِّيَاشِ. سِتُّون عَامَاً مِن الحَشْرَمَاتِ. شَهْقَةُ الليلِ، دَمْعَاتُ الفِرَاقِ؛ ومَنْ لَمْ يَمُتْ بِالوَطَنِ مَاتَ بِالرَّحيلِ.

عُدْتُ إِليكَ يَا أَبْ نَفَّاش، أَشْكُو بِضْعَاً وأَرْبَعِين مُخَاتِلاتٍ، مَسْرُوقَاتٍ؛ فَأَعِدْ لِيَّ أُسطوانَةَ نَتَانَةِ غُرْفَتِكَ المُغْلَقَةِ، سَأَظَلُّ أَرْنُو إِلى شَبَابِيكِ الرِّيَاحِ.

مَرَّةٌ وَحِيدَةٌ

مِنْ بَيْنَ أَوْرَاقِي العَاطِفِيَّة قَفَزَتْ شَهَادَةُ وَفَاةِ أَبِي، وفِي طَيِّهَا تَصْرِيحُ الدَّفْنِ، وُرَيْقَةٌ بُاهِتَةٌ؛ مُبْتَسَرَةٌ (سَبَبُ الوَفَاةِ جَلْطَةٌ دِمَاغِيَّةٌ) لَمْ يَكُنْ أَبِي بَاهِتَاً؛ ولا مُبْتَسَراً. المَرَّةُ الوَحِيدَةُ التِي نَظَرَتْ فِيها الحُكومةُ لدِمَاغِه هِي سَاعَةَ مَوْتِهِ.

أَطْبَقْتُهَا فِي جَيْبِي، وحَرَقْتُ أَوْرَاقِي العَاطِفِيَّة.

دخلوهَا!

فِي حَفْلِ زَوَاجِهِ والفَنَّانُ يُغَنِّي (دخلوهَا وصِقَيْرَا حَام)
طَارَتْ نَفْسُهُ حَمَاسَةً، فِي الخَفَاءِ تَحَسَّسَ حَبَّات الفياجرا فِي
جَيْبِهِ؛ وتَبَسَّمَ فِي وَجَهِ عَرُوسَة المَوْلِدِ.

غُرْبَةٌ وشُقُوق

اِغْتَرَبَ الوَطَنُ عَنْ شَعْبِهِ، طَالَتْ غُرْبَتُهُ. خَرَجَ الشَّعْبُ حَزِيناً يَبْحَثُ عَنِ الوَطَنِ الغَائِبِ، تَجَعَّدَ شَعْرُهُ، تَشَقَّقَتْ مِنْهُ الأَقْدَامِ، ولَفَحَتْهُ شُمُوسٌ حَرَّاقَةٌ. عَرِفَتْهُ الشُّعوبُ التِي آوتْ وَطَنَهُ، لَمْ تُخْبِرْهُ، سَكَتَتْ؛ وسَكَتَ.

عَبَرَتْ سَحَابَةٌ تَبْحَثُ عَنْ أَرْضٍ!

كانَ قمراً

لَمْ أَكُنْ مَقْلَباً للأَحْلَامِ الخَاسِرَةِ، رَأَيْتُ القَمَرَ مُنْزَلِقَاً فِى التُّرْعَةِ؛ يَرْتَدِي عِطْرَ السِّدْرِ والطَّلْحِ الوَثِيرِ. مَلَأَتْنِي خَيْبَة لَـهَا ظِلٌّ حِينْ تَحَرَّكَ الكَوْنُ، ثَبَتَ المَكَانُ فِى صَلِيبِ الوَعْدِ. لَمْ يَعُدْ لِقَمَرِ التُّرْعَةِ سِحْرَاً؛ أَمْ لَمْ يَعُدْ لِي وَجْدَاً؟

هُم وهُو

هُوَ لا يُحِبُّ الحَيَاةَ، جِيْرَانُه الفُقَراء يَعْشَقُونَها لِذَا يَتَشَبَّثُون بِبابِهَا؛ يَمْقُتُ بَابَهُم كُلَّمَا تَعَالتْ ضَحَكَاتُهُمْ مِنْ خَلْفِهِ. يَلْتَمِعُ شَعْرُهُ وشَارِبُهُ بِالصِّبَاغِ المُسْتَورَدَةِ مِن الهِنْدِ. يَتَعَرَّقُ خَدَّاهُ، وَهُوَ يَهْتِفُ فِي وجُوهِهِم:

لَا لِدُنْيَا قَدْ عَمِلْنَا.

يَمْسَحُ عَرَقَهُ ويَسْتَأْنِفُ:

لَا للسلطَةِ، ولا للجاهِ.

يُوقفُ مُحَرِّكَ سَيَّارَتَهُ، لِيَسْمَعَ مِنْ خَلْفِ البَابِ ضَحكَاتِ الجِيْرَانِ تَتَعَالَى.

نَافِذَة

النَّافِذَةُ تُبْدِي جِلْبَاباً مُعَلَّقاً عَلَى مِسْمَار، ضَبَّاً يُطَارِدُ حَشَرَةً.

النَّافِذَةْ تَطِلُّ عَلَى مِنْضَدَةٍ بِثَلَاثَةِ أَقْدَامٍ، عَلَى سَطْحِهَا قَلَمٌ، نَظَّارَةٌ، وكِيسُ تُمْبَاكٍ، بِجِوَارِهَا مَرْكُوبٌ قَدِيم، وجَوَارِب بَالِية.

النَّافِذَةُ تَمْنَحُ الهَواءَ لِرَجُلٍ خَلْفَهَا. يَكْتُبُ ويَتَنَفَسُ بِضْعَ مَرَّاتٍ.

ليل

يَنَامُ لَيْلُنَا مُبَكِّرَاً، يَتَدَثَّرُ بِأُغْنَياتٍ بَعِيدةٍ تَحْكِي نُواحَ العَاشِقِين. يَرْمُقُ الفَجْرَ مَسَارَاتِ الأَحْلَامِ السِّرِيَّةِ. يَصْنَعُ فَتَاةً مِنْ نَدَاهُ مُتَأَبِطَةً حَبِيباً، شَارِعَاً للهَمْسِ، سَابِلَةً بِلا فُضولٍ، وأَيَادٍ تُقَدِّسُ الأَزْهَارَ.

يَدْخُلُ الفَجْرُ فِي مَسَارِ الحُلُمِ؛ فَيُبْصِرُ الليلُ فَتاتَهُ النَّدِيَّة تَتَبَخَّرُ، فُقَاعَاتٍ مِنْ النَّشْوَةِ تَحْمِلُها سَحَابَةٌ لأَرْضٍ سَتُنْبِتُ الحُبَّ.

قَامَةٌ

عُقُودٌ مُنْذُ أَنْ تَآلفَ كَاهِلِي مَع المُعَانَاةِ، قَامَتِي مُنْتَصِبَةٌ عَلى ضِيقِ ذَاتِ العَيْنِ. يَقُولُ لِي الطَبِيبُ: إِنَّك غَيْر مُهَدَّدٍ بِالأَمْرَاضِ اللدودة!

تُفْزِعُنِي أَحْلَامِي؛ إِذْ أَرَانِي فِي قَبْرٍ يَسَعُ الجَمِيعَ.

أَتَضَوَّرُ سَعَادَةً، أَكْتَهِلُ مَعَ أَحْلَامِي، وقَامَتِي المُتَعَامِدَة عَلى شَاهِد القَبْرِ.

دُودَةٌ

صَدِيقُكَ يَسْرِقُكَ بَنَات أَفْكَارِكَ، بَنَاتُ الدَّهْرِ يَتَبَرَّجْنَ أَمَامَ نِضَالاتِهِ. دُودَةٌ تَقْتَحِمُ أَنْفَهُ؛ يَعْطِسُ ذَات نَدْوَةٍ مُفْرِزاً دُودَةً تَعَمْلَقَتْ فِي جُيوبِهِ. تَعْتَلِي الدُودَةُ المِنَصَّةَ، وتُحَاضِرُ عَنْ ميشيل فوكو؛ يَخْتَفِي صَدِيقُكَ للأَبَدِ.

أَيْنَ.. مَجَّاناً؟

دَرَجَ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ، لا أَحَدٌ يَرْفَعُ أَصَابِعَهُ. يَصْنَعُ إِشَارَةً بَذِيئَةً لِمُمَثِلِي الدَّوْلَةِ؛ يَطْبُزُ إِحْسَاسَهُ بِالفَرْحَةِ لِمَولودِهِ الخَامِسِ بَعْد الزَّوَاجِ، تَسْدِيدُ فاتورةِ شَهَادَةِ المِيْلَادِ. كَيْفَ اِحْتَلَّتْ كَلِمَةُ السَّدَادِ حيَاتَهُ؛ وسَدَّت نَفْسَهُ؟ نَظَرَ إِلى طِفْلِهِ فِي المَهْدِ. بَسَطَ يَدَهُ اليُمْنَى، رَفَعَ أَصْبَعَهُ الوسْطَى لأَعْلَى، وتَمْتَمَ: يَا مَا.. يَاا ما!

عَوْدَةٌ

الحَمَائمُ كَانَتْ بَيْضَاء، وكَذَا قَلْبِي حِينَ حَطَّ عَلَى أَعْشَاشِهَا. أَجْنِحَةٌ يَوْمَئِذٍ لَهَا حفيفٌ مِن هَديلٍ. يَوْمَذَاكَ عَادَ الرَّصَاصُ إِلى بُطونِ أُمَّهَاتِهِ، وابْيَضَّتْ أَيَادِي الجُنودِ، قُبَّعَاتُهُمْ حَلَّقَتْ مَعَ الحَمَائمِ. حَطَّ قَلْبي عَلَى فَنَنٍ، يَتَسَامَعُ هَسِيسَ غُصْنَيْن.

فَظَاعَةٌ

بِالأَمْسِ كَانَ يُحِبُّ وَطَنَهُ، مِهْنَتَهُ، شَجَرَةَ اللَبْلَابِ، حَتَّى كَلْبَ الجَيْرَانِ. اليَوْمَ لَا يَكْرَهُ؛ فَقَطْ يُحِبُّ أَنْ يَنْسَي مَواجِعَهُ. يُحَاوِلُ أَلَّا يَنْسَى كَيْفَ اِنْسَرَبَ الخَرَابُ فَظِيعَاً.

طَرَائِدٌ

أَسَدٌ جَائِعٌ يَرْبُضُ خَلْفَ لَبُؤَةٍ، تَسْتَتِرُ فِي فِرَائِهَا الْمُبَلَّلِ بِالشَّوْقِ. صَائِدٌ يَكْمُنُ لَهُمَا فِي دَغْلٍ مُظْلِمٍ.

النَّعَامَةُ

حَدَّثَتْنِي جَدَّتِي نَقْلاً عَنْ شَيْخِهَا الصَّالِح، نَقْلاً عَنْ شَيْخِهِ فِي طَبَقَاتِ وَدْ ضَيفِ الله: أَنَّ فِي الصَّحْرَاءِ الغَرْيِبَّةِ لِقَرْيَتِنَا تَسْكُنُ نَعَامَةٌ، ولَهَا رَأْسَانِ أَحَدُهُمَا تَدْفِنُهُ فِي الرِّمَالِ، والآخَرُ تَرْفَعُهُ للسَّمَاءِ، وَهِيَ تَصِيحُ: مَا أَشْبَهَ الليلةَ بِالبَارِحَةِ! مَا أَشْبَهَ الليلةَ بِالبَارِحَةِ!

أَصَابَنِي النُّعَاسُ فَنِمْتُ، ولا أَعْرِفُ كَمْ لبثْتُ، وحِينَ صَحَوْتُ وَجَدْتُ نَفْسِي قَدْ كَبُرَتْ، صَارَتْ لِي زَوْجَةٌ وابْنٌ، وكَانَتْ أُمِّي تَحْكِي لِابْنِي الذِي هُوَ حَفِيدُهَا،

حِكَايَةَ النَّعَامَةِ ذَات الرَّأْسَين، رَفَعْتُ رَأْسِي الوَحيدَ للسَّمَاءِ، خَرَجْتُ مِنْهُمْ وأَنضا أُتَمْتِمُ: مَا أَشْبَهَ الليلةَ بِالبَارِحَة!

أَبَدِيَّتِي

تِلْكَ الجُمْعَة لَمْ أَنْهَضْ مِنْ نَوْمِي، ولَمْ يَفْتَقِدْنِي الحَشْدُ؛ رُبَّمَا هُوَ حُلُمِي القَدِيم بِمُقَايَضَةٍ تَارِيخِيَّةٍ! اِبْتَسَمْتُ وأَنا أَتَذَكَّرُ سَنَواتِي الزَّاهِيَة. جَلَبَةُ الحُشودِ، وأَصْوَاتٌ فَزِعَةٌ تَنْسَحِبُ عَنِّي بَيْنَمَا أَغِطُ عَمِيقَاً فِي أَبَدِيَّتِي.

مُبَارَكَةٌ

يَنْصَرِمُ الصَّبَاحُ، يَحْتَطِبُه الليلُ، يُعِيدَان الكَرَّةَ خَاسِفَين. أَنْتَظِرُهُمَا فِي جُمْعَةِ مُعَارَكَةٍ، أَلْتَقِطُ عِطْرَ السَّمَكِ البُلْطِيّ مُشَعْشَعَاً بِالتَّوَابِلِ؛ يَرْمُقُنِي اِعْتِسَافَاً صَاحِبُ المَطْعَمِ وأَنَا عَابِرُ رَوائحٍ.

رِئَةٌ

يَا ذَا الرِئَةِ الوَسيعَةِ اِهْبُطْ إِلى السُّهولِ المُقَدَّسَةِ، ثَمَّة هَواء يَمْلأُ الشَّارِعَ،دُعَاشٌ وهَمْبرَيب. اِمْلَأْ صَدْرَكَ بِالضِّيَاءِ، واَفْرِدْ جَنَاحَيْكَ للظِلِّ الوَثيرِ حِينَ تضيقُ بِتِلْكَ الرِئة التِي أَتعَبَتْكَ اِصْرُخْ لِمِيْلَادِكَ الجَدِيد، وتَوَكَّأْ عَلَى نَوَافِذِ الطَّرِيقِ.

مُقَارَبَةٌ

يَشْتَاقُ أَنْ يَمطَّها، يَمُدُّ لِسَانَهُ؛ يَعْبَثُ بِشُقُوقِها. شَفَتُه السُّفْلَى يَفْتَقِدُهَا مُنْذُ أَنْ بَتَرَهَا الأَطِبَاءُ لاشْتِبَاهِهِمْ فِي تَسَرْطُنِهَا. أَحَدَهُمْ ذَهَبَ بِخَيَالِهِ إِلى مَمْطُوطَةٍ أُخْرَى.

مدخل

لِيْلَاء هِي اللقيا، أخضر هو الفراق؛ سَآتِيكِ مُفْتَرِعَاً نَشِيدَ الجَسَدِ يَا قَصِيدَتِي المُقَفَّاة عَلى بَحْرِ الاشْتِيَاقِ، سَأَدْخُلُ بَيْنَ صَدْرِكِ وعَجْزِكِ؛ لأَضَعَ نُقْطتين رأسيتين؛ فيقولُ الحُبُّ كَلِمَتَهُ. أَغْفُو عِنْدَ تِلَالِكِ الخَصِيبَةِ، تَارِكَاً أَوْتَارِي تَعْزِفُ أُنشُودَةً بِدَائِيَّةً.

يَحْذُو

قُلْتُ: أَجْمَلَ مَا فِي المَرْأَةِ أُنْس عَيْنَيْهَا

قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟

تَبَسَّمْتُ له، وأَطْرَقْتُ مُخَاتِلاً. مَا بَالَ النِّسَاء تُغْوِي عُلْوَاً وسُفْلاً؟

قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟

قُلْتُ: أَلَمْ تَفْنَى جِبَالُ الكُحْلِ بَعْد؟ كَمْ مِرْوَدٍ جَرَفَهُ الحَنِينُ هذَا المَسَاء؟

قال: ثم أي ؟

قُلْتُ : الله لِي أَنا

اِنْصَرَفَ يَخِبُّ فِي شَارِعِ الحِسَانِ، وأَنَا أَحْذُو نَعْلِي.

جَلَّاسَةٌ

طَوِّبِينِي بَيْنَ دَفَّتَيْكِ، واَخْلِقِي سَلَامَاً؛ اِرْفَعِي هَذَا الْهُمَام إِلى مَصَافِكِ.

قُلْتُ لَكِ: للعِشْقِ تِسْعُون اِسْمَاً!

غَمَرْتِنِي بِاسْمِهِ الأَوْسَم.

تَقُولِينَ: تَرَيَّثْ؛ ولا تَعْجَل بِهِ!

لَمْ أَزَلْ أَلِحُّ عَلَيكِ حَتَّى رَأَيْتُنِي مُطَوَّبَاً؛ فَطُوبَى لكِ مِنْ جَلَّاسَةٍ.

مَبْحَثٌ

كُلَّمَا حَبَا؛ خَبَا الضّوءُ، حِينَمَا وَقَفَ عَلَى سَاقَيْهِ لَمْ يَعُدْ يُبْصِرُ شَيْئَاً. يَتَحَرَّكُ الكَوْنُ تَحَتَ قَدَمَيْهِ؛ وهُوَ يَبْحَثُ عَنْ أَرْضٍ كَانَتْ هُنَا.

أَجَّجَتْ

أَجْرَمَتِ اللُّغَةُ مَرَّتَين فِي حَقِّي، مَرَّةً حينَ بَاحَتْ؛ فَأَغْرَقَتْنِي. ومَرَّة حِينَ أَخْرَسَتْهَا الحُمَّى؛ فَانْطَفَأَتْ فِي ضِرَامِ اللهْفَةِ. ومَعَ ذَلك تُحِبِّين أَنْ أَكْتُبَ لكِ!

لَمْ تَعُدْ

أَوْدَعْتُها الحُبَّ؛ تَحْلُمُ بِوَطَنٍ جَمِيلٍ! لَمْ نَتَخَلَّ عَن هَدْأَةِ الصَّبَاحِ، وحُلُمَ القَهْوَةِ الرائقةِ. الآن تَنَامُ وَحْدَهَا فِي وَطَنٍ لآخَرِين، وأَنَامُ مَع أُخْرَى فِي بَلَدٍ لَم تَعُدْ وَطَناً. يَوْمَا مَا قَدْ يَجْمَعُنا مَطَار، أو يَعْبُرْنا الليلُ؛ وقَدْ هَرِمْنَا.

اِمْرَأَةٌ

نَشِيدٌ وَحْدُهَا، تَنْسَابُ عَلَى تِلَالِ البِلَادِ كَحَبَّاتِ المَطَرِ، حَرَّكَتْ بِأَنَامِلِهَا غَمَامَتَيْن، وأَجْلَسَتْ حُلُمِي بَيْنَهُمَا، قَالتْ: كُنْ هَطُولَاً!

اِنْفَرَجَتْ شَفَتَا الأَرْضِ، وتَبَلْوَر النَّدى عَلى وَجْنَتَيْهَا، أَرْخَتْ أَصْبَعَيْهَا، تَنَفَّسَتْ للخِتَام، ثُمَّ قَالتْ: خَلَاص!

لِي

تَصْفَعُنِي خُصلاتُكِ المُنْسَدِلةُ، أَصُوغَها قَيْدَاً لِشَفَتَيْكِ،
أَدْخُلُ مَعْبَدِي آمِنَاً إِلا مِنْكِ! جَاثِيَةً أَنْتِ عَلَى رَبْوَتَيكِ
تُلْقِمين طِفْلَ الاشْتِهَاءِ نَزَوتَكِ العَابِثَةِ، أُخَرْبِشُكِ؛
لِتَعْلَمِي أَنَّ مَحَطَّةَ نُزولِكِ قَدْ أَوْشَكَتْ، تَلْبَسِيْنَ جِلْدَ فَرَسِ
النَّهْرِ!

وَيْحَنَا!

تَضِجُّ الوَرْدَةُ بِالعِطْرِ، أَدُسُّ أَنْفِي فِي الشَّجَرَةِ، بَغْتَةً يَتَساقَطُ الدَّمْعُ سَخِيًّا، كَمْ حَدَّثْتُكِ أَنَّ الليلَ أَقْصَرُ مِنْ مَجْرَى شَوْقِي!

تَقُولِينَ: وَيْحِي!

أَقُولُ: كِلِيْنِي للرَّمَادِ، وقِطَارٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ العَجَلاتِ؛ أَتْبَرَا يَا أَتْبَرَا كَيْفَ نَسِيَنِي رَصِيفُكِ حَتَّى؟

كِفَايَةٌ

سَتَحْظِرُكَ فِي فيس بوك، وتُلَاحِقُ شَطْبَكَ أَيْنَمَا وَجَدَتْكَ.
لَنْ تَشْفَعَ لَكَ دُموعُكَ وكَلِمَاتُكَ البَائِدَةُ فِي حُبِّهَا. سَتَتَعَلَّمُ –
أَنْتَ – أَلَّا تَنْبُشَ حُفَرَ الحَبِيْبَاتِ، وتِلَالِ أَصْدِقَاءِ الطُّفولَةِ،
سَتَكْتَفِي بِنَظَرَاتِ الإِعْجَابِ مِنْكَ وإِلَيكَ.

صَبَّارٌ

اُخْرُجْ الآن؛ لا يَجْدُرُ بِالقَبْرِ أَنْ يَضُمَّ دَمَكَ الحَارَ؛ سِحْنَتُكَ لَمْ تَزَلْ خَضْرَاء رَغْم مَخَالبِ الأَصْدِقَاءِ. هَكَذَا قُلْتُ لِجَارِي! بَلِيَتْ عِظَامِي، ولَمْ تَزَلْ تَبْذُلُ النُّصْحَ لِوَافِدِي المَقْبَرَةِ. ضَخَّ دَمَهُ إِلى رِمْسِي، رآه العَابِرون زَهْرَةَ صَبَّارٍ.

آوان وردة الأنثوس

عمر الصايم

دار الأمير للنشر والطباعة والتوزيع